معركة ذي قارفى ضوء التاريخ الاسلامى

*ڈاکٹر عبد المنان

**ڈاکٹر حافظ نصر الله

Abstract

This article "The DhuQar War: A historical & Analytical Study deals with the different aspects of this significant Pre-Islamic History war which was fought between Arab & Persian.

The article describes firstly the different names of this war & then illustrates the causes & reasons of this war in detail. After this depicts the war & gives a detailed description of the different views about the determination of the date of this war.

The article also throws lights on the effects of this war & reasons of Arab victory & Persian defeat. Finally describes the most significant results of this research.

ان القتال والجدال والحروب والمعارك من طبيعة البشر ، وأنها وجدت منذ ما وجد هذا الإنسان على وجه هذه الأرض ، وأنه لم يخل عصر من العصور ولا منطقة من مناطق الأرض المعمورة بالإنسان وإلا دارت رحى الحروب واشتعلت نار المعارك ، وقام الجدال والقتال ، وتطورت هذه المعارك وآلاتها وأساليبها كلما تطورت المجتمعات البشرية وتقدمت إلى الأمام في مجالات الحضارة والمدنية ، ومن هنا لا يمكن تصور عالم خال من الحروب في أي وقت و مكان ، ولها سلسلة طويلة من العصور القديمة حتى الآن ، ولا تنقطع هذه السلسلة حتى تقوم الساعة .

ومن سلسلة هذه الحروب الطويلة الحروب الجاهلية أو أيام العرب في الجاهلية كما هي تعرف بين العرب،والتي دارت بين القبائل العربية نفسها أو بينها وبين الفرس أو الروم ،وهي كثيرة جدا ، وقد أشار بعض المصادر إلى ألف وسبع مائة يوم ، ولكن من أهمها وأكبرها حجما وأعظمها ذكرا وأبلغها أثرا هي الحروب التي حدثت بين العرب والفرس أو بين العرب و الروم ، وعظام أيام العرب ثلاثة وهي يوم كلاب ربيعة ويوم شعب جبلة ويوم ذي قار ، ومن أشهرها على الإطلاق يوم ذي قار الذي حدث بين العرب والفرس ، وكانت هذه المعركة من أحداث الجاهلية المهمة

---

*محاضر بجامعة ام القرى مكه المكرمة

**المدير المساعد فى المركز الاسلامى باكستان لجامعة الاسلامية بهاولبور

والخطيرة والتي تركت آثارا بعيدة المدى على الصعيد المحلي والدولي ، كما هي أول معركة حقق فيها العرب النصر الرائع علي الفرس ،ولها أهمية بالغة ليس في تاريخ العرب فحسب بل في تاريخ الفرس أيضا.

والآن أنتقل إلى موضوع معركة ذي قار ، ولكن قبل أن أبدأ في تناولها أرى بهذه المناسبة أن آتي على ذكر موقع المعركة وأسبابها العديدة وأسماءها المختلفة أولا ، ثم أصف المعركة وأتناول بقية عناصرها من تاريخ وقوعها وآثارها وأسباب انتصار العرب ونتائجها فيما بعد بإذن الله .

في بيان معركة ذي قارموقع ذي قار :ذو قار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط (1)وبالقرب منه مواضع منها حنو ذي قار و قراقر وجبابات ذي العجرم وجذوان وبطحاء ذي قار (2)وحنو ذي قار يقع على ليلة من ذي قار(3)

أسماء المعركة المختلفة : وتعرف هذه المعركة بأسماء عديدة ، منها يوم قراقر ويوم الحنو أي حنو ذي قار ، ويوم حنو قراقر ،ويوم الجبابات ،ويوم ذي العجرم ، ويوم الغذوان ويوم البطحاء أي بطحاء ذي قار(4)

أسباب المعركة : يذهب معظم المؤرخين إلى أن كسرى أبرويز طلب على يد رسوله زيد بن عدي بن زيد(5) من ملك الحيرة النعمان بن المنذر (6) إرسال بعض حرائر فتياته ، فامتنع النعمان عن تلبية رغبته ، وقال : أما لكسرى في مها السواد (7) كفاية حتى يتخطى إلى العربيات ؟

فلما انصرف زيد إلى كسرى قص عليه امتناع النعمان , وبالغ في ذلك , وأدى إليه قول النعمان في مها السواد على أقبح الوجوه , وأوجده عليه , فسأل كسرى : ما المها ؟ فقال البقر , فأخذ عليه وقال : رب عبد قد صار في الطغيان إلى أكثر من هذا ، وذكر الطبري هذا القول في صورة أخرى قال ": رب عبد قد أراد ما هو أشد من هذا فيصير أمره على التباب."

وعلى كل حال طلب كسرى النعمان بن المنذر عنده , فأيقن بالهلاك , فحمل سلاحه وما قوي عليه , وأخذ يطوف في قبائل العرب يطلب المنعة إلى أن نزل بذي قار في بني شيبان سرا , فلقي هاني بن مسعود الشيباني (8), وكان سيدا منيعا , فاستجار به فأجاره , واستودعه أهله وأولاده وأمواله وسلاحه , ثم مضى إلى كسرى , فلما بلغه أنه بالباب , بعث إليه فقيده وأدخله في السجن ,فلم يزل به حتى وقع الطاعون هناك , فمات فيه (9).

وبعد موت النعمان طالب كسرى بتركة النعمان , فأخبره إياس بن قبيصة (10)بأنها وديعة عند بكر بن وائل , فأمره كسرى بضمها إليه , فأرسل إياس إلى هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود الشيباني يأمره برد ودائع النعمان , فامتنع هاني , وأبى أن يسلم ما استودعه عليه النعمان , فغضب كسرى أبرويز وعزم على إغارة بكر بن وائل وهدد باستئصال شأفتها (11) ولذا حدثت هذه المعركة .

وهذا هو السبب الحقيقي والمباشر وراء هذه المعركة , وذهب إليه معظم المؤرخين كما قلت من قبل , وإن كان هناك من يري لها سببا آخر , فمثلا يرى حسن إبراهيم حسن "أنه كان من أثر نزع النعمان أن ضعفت الأداة الحكومية , وقامت حرب ذي قار بين إياس بن قبيصة حاكم الحيرة , تؤيده حكومة فارس , وبين العرب , (12) "... فيتضح من كلامه أن حرب ذي قار وقعت بسبب ضعف حكومة الحيرة , وأنها كانت في الأساس حربا بين العرب وأيدت حكومة فارس إياس بن قبيصة لأنه كان مواليها بينما الواقع يخالفه , فالسبب الأصل هو كسرى أبرويز وموقفه من تركة النعمان , وأنه هو الذي عزم على مهاجمة بكر بن وائل وأن هذه الحرب ليست حربا بين العرب .

وكما يقول كارل بروكلمان " ولكن النعمان الثالث هذا وهو آخر ملوكهم , لم يكن سهل القياد ,فضاق الفرس به ذرعا , فاستدرجه كسرى الثاني إلى عاصمته المدائن , وخلعه عن العرش وما هي إلا سنوات حتى ظهرت نتائج هذا الصنيع , فهاجم ثلاثة آلاف عربي المنطقة الفراتية سنة 610هـ , وهزموا الفرس هزيمة حاسمة في ذي قار (13)."

ففي رأي بروكلمان خلع النعمان هو السبب المباشر لمعركة ذي قار كما هو واضح من كلامه , كما يرى أن العرب هم الذين هاجموا أي هم بدءوا القتال , ولا شك أن هذا خلاف الواقع , فخلع النعمان ليس هو السبب الحقيقي بل مطالبته بتركته ورفض هاني بن مسعود بتسليمها هو السبب الحقيقي , فلو سلم هاني بن مسعود التركة والودائع لم تقم الحرب , وخلع النعمان ليس له علاقة مباشرة بالحرب , والعرب لم يبدؤوا هذا القتال بل الملك الفارسي هو الذي عزم على الإغارة و تصفية بكر بن وائل , ولا شك أن هذا تشويه لتاريخ العرب.

فالسبب الحقيقي والمباشر وراء معركة ذي قار أرى أنه هو السبب الأول الذي ذهب إليه معظم المؤرخين , وليس كما يرى د .حسن أو بروكلمان .

وصف المعركة : وعلى كل حال عندما عقد كسرى أبرويز عزمه على إغارة بكر بن وائل , فأشار عليه النعمان بن زرعة التغلبي , وكان يكره بكر بن وائل ويسعى لهلاكهم , أن يمهل بكرا حتى الصيف , فإنهم يتساقطون على ماء يقال له ذوقار تساقط الفراش في النار , ثم يأخذهم كيف يشاء فوافقه كسرى على ذلك وأقرهم , حتى إذا قاظوا جاءت بكر بن وائل فنزلت بالحنو وهو حنو ذي قار (14) .

ولما بلغ كسرى نزولهم أرسل إليهم جيشا من الفرس على رأسه الهامرز ألتستري المرزبان الأعظم لكسرى وصاحب مسلحة القطقطانة , وكان يقود ألف فارس من العجم , وجلا بزين صاحب مسلحة بارق في ألف فارس , و خرج إياس في كتيبتين شهبا وين وفي كتيبة دوسر , ومعه خالد بن يزيد البهراني في بهراء وإياد , والنعمان بن زرعة التغلبي في تغلب والنمر بن قاسط (15)وقيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين , عامل كسرى على طف سفوان ,

(16)وأمر كسرى أن يجتمع الجيش تحت لواء إياس , كما عهد إليهم إذا شارفوا بلاد بكر ودنوا منها أن يبعثوا النعمان بن زرعة التغلبي يخيرهم بين ثلاث خصال : أما أن يعطوا بأيديهم فيحكم فيهم الملك بما شاء , وإما أن يعروا الديار , (17) وإما أن يأذنوا بحرب .

فلما بلغ خبر مسير جيش كسرى بكر بن وائل سار هاني بن مسعود حتى انتهى إلى ذي قار , فنزل به , وأقبل النعمان بن زرعة التغلبي حتى نزل على ابن أخته , وبلّغ بكر بن وائل أمر كسرى وخيرهم بين ثلاث خصال المذكورة آنفا, فقال له القوم ننظر في أمرنا.

ثم بعثوا إلى من يليهم من بكر , وبرزوا ببطحاء ذي قار بين الجلهتين , (18) وأخذوا ينتظرون من يأتي من قبائل بكر , لا ترفع جماعة إلا قالوا سيدنا في هذه , حتى برزت جماعة كبيرة فقالوا لقد جاء سيدنا , وإذا رجل أصلع الشعر عظيم البطن , مشرب حمرة , هو حنظلة بن ثعلبة بن سيار ألعجلي , فقالوا : يا أبا معدان قد طال انتظارنا , وقد كرهنا أن نقطع أمرا دونك , وهذا ابن أختك قد جاءنا , والرائد لا يكذب أهله , وهذا هاني بن قبيصة يهم بركوب الفلاة , ويقول لنا : لا طاقة لكم بجموع الملك , قال حنظلة : فما الذي أجمع عليه رأيكم واتفق عليه ملؤكم , قالوا :إن اللخى (19)أهون من الوهى , وإن في الشر خيارا , ولأن يفتدي بعضنا بعضا خير من أن نصطلم جميعا.

فقال حنظلة : قبح الله هذا رأيا , لا تجر أحرار فارس أرجلها ببطحاء ذي قار وأنا أسمع هذا الصوت , ثم أمر بقبته فضربت بوادي ذي قار , ثم نزل ونزل الناس فأطافوا به ثم قال : لا أرى غير القتال , فإن ركبنا الفلاة متنا عطشا , وإن أعطينا بأيدينا تقتل مقاتلتنا وتسبي ذرارينا , ثم أشار على هاني بن مسعود بتوزيع الأسلحة على قومه , فإنها ترد عليه في حالة الظفر وفي حالة الهزيمة يعتبر الأهون مفقودا , فاستجاب هاني لنصيحته وقسم الدروع والسلاح , ثم التفت حنظلة إلى النعمان التغلبى وقال : لولا أنك رسول لما رجعت إلى قومك سالما , فعاد النعمان التغلبى إلى أصحابه والفرس فأخبرهم بما رد عليه القوم , فباتوا ليلتهم مستعدين للقتال , وبكر أخذوا في الاستعداد للحرب أيضا(20).

وفي رواية أخرى أن الذي أشار على هاني بتوزيع الأسلحة والدروع هو قيس بن مسعود بن ذي الجدين , الذي كان مع الفرس وتسلل إلي معسكر هاني , فقبل رأيه و وزع الدروع والأسلحة(21).

فلما أصبحوا أقبلت الأعاجم نحوهم يسيرون على تعبئة , ومعهم الجنود والأفيال , عليها الأساورة (22)وكان نازلا في بني شيبان ربيعة بن غزالة السكوني ثم التجيبي هو قومه , فقال يا بني شيبان :أما إني لو كنت منكم لأشرت منكم برأي مثل عروة العلم , فقالوا أنت والله من أوسطنا فأشر

علينا ، فقال لا تستهدفوا لهذه الأعاجم فتهلككم بنشابها (23)ولكن تكردسوا كراد يس (24)، فإذا أقبلوا على كردوس شد الآخر ، فقالوا : قد رأيت رأيا.

ولما تقارب الجيشان قام حنظلة بن ثعلبة فقال : إن النشاب الذي مع الأعاجم يفرقكم ، فإذا أطلقوه لم يخطئكم ، فعاجلوهم اللقاء ، وابدءوهم بالشدة ، ثم قام إلى وضين (25)راحلة امرأته فقطعه ، ثم تتبع الظُعُن (26) بقطع وضنهن ، فسقطن على الأرض ، فقال : ليقاتل كل رجل منكم عن حليلته ، ثم ضرب قبة على نفسه ببطحاء ذي قار ، وأقسم أن لا يفر حتى تفر القبة ، وقطع سبع مائة من شيبان أيدي أقبيتهم من مناكبها لتخف أيديهم لضرب السيوف ، ثم قام هاني بن مسعود وحث الناس على القتال والصبر والشجاعة , ومن ثم جعل الناس يتحاضون ويرجزون , وقامت النساء أيضا يرجزن ويشجعن الرجال حتى جاء وقت الحرب , ووقف الجيشان متقابلين , فكانت عجل في الميمنة إزاء خنابزين وعليهم حنظلة بن ثعلبة , وبنو شيبان في المسيرة بإزاء كتيبة الهامرز , وعليهم بكر بن زيد بن مسهر , وأفناء بكر في القلب عليهم هاني بن مسعود , فخرج أسوار من الأعاجم في أذنيه درتان من كتيبة الهامرز , يتحدى الناس للمبارزة , فنادي في بن شيبان فلم يبرز إليه أحد , حتى إذا دنا من بني يشكر برز له يزيد بن حارثة , فشدَّ عليه بالرمح فطعنه ودق صلبه,وأخذ حليته وسلاحه .

وخرج الهامرز يدعو إلى البراز فخرج إليه الحارث بن شريك الحوفزان فقتله (27) , وفي رواية أن من قتل الهامرز هو يزيد بن حرثة اليشكري , قتله في اليوم الأول , وغنم ديباجه وقرطيه وأسورته (28) ولكن الطبري يرى أن مقتله كان في المعركة الأخيرة كما سيأتي (29) , ويرجح هذا الرأي السيد عبد العزيز سالم في كتابه (30) .

وفي اليوم الثاني جزعت جيوش الفرس من العطش , فتراجعت إلى الجبابات , فتبعتهم بكر وعجل ,وأبلت عجل يومئذ بلاء حسنا , وتدافعت عليهم حشود الفرس وتكاثرت حتى أيقن القوم هلاكهم , ثم حملت بكر لمؤازرة عجل فرأوا بني عجل يقاتلون في حماسة واستماتة , وتحث نساؤهم رجالها وترجز وتقول :

إن يظفروا يحرزوا فينا الغرل إيها فداء لكم بني عجل

وتقول أيضا :

إن تهزموا نعانق ونفرش النمارق

أو تهربوا نفارق فراق غير وامق (31)

وازداد عطش الفرس , فمالوا إلى بطحاء ذي قار , و من الظاهر أن قبيلة أياد التي ظاهرت الفرس عدلت عن موقفها , وأرسلت سرا إلى بكر وقال رسولهم : أي الأمرين أعجب إليكم , أن نطير

تحت ليلتنا فنذهب في سبيلنا أو نقيم وننهزم حين تلاقون القوم ؟ قالوا بل تقيمون فإذا التقى الجمعان انهزمتم بهم (32).

وفي اليوم الثالث نصب يزيد بن حمار السكوني وكان حليفا لبني شيبان كمينا للفرس في موضع جُب , واصطفت جيوش الفرس و العرب , وحانت ساعة القتال فبرز الهامرز وصاح" مرد مرد " أي إلى المبارزة رجلا رجلا , فبرز إليه برد بن حارثة اليشكري وقتله من ساعته , وآثر حنظلة أن يبدأ العرب الهجوم , فحملت ميسرة بكر وعليها حنظلة على ميمنة الفرس بعد أن فقدت قائدها الهامرز , وحملت ميمنة بكر بقادة يزيد بن مسهر على ميسرة الفرس وعليهم الجلابزين , وفي الوقت نفسه خرجت كمائن يزيد بن حمار فشددت الهجوم على قلب الجيش الفارسي , ونفذت الإياد ما أضمرته من خذلان الفرس , فولت منهزمة من المعركة , وأحدث ذلك اضطرابا شديدا في جيش الفرس , فانهزموا هزيمة نكراء , وكتيبة عجل تطاردهم بين بطحاء ذي قار حتى بلغ فل الفرس الراحضة ويقتلونهم , لا ينظرون إلى سلب ولا إلى غنيمة (33) , وتمكن حنظلة من قتل جلابزين وكسر الفرس على هذا النحو كسرة لم يعرفوها من قبل , وقتل أكثرهم (34) .

ومن الذين أبلوا بلاء حسنا في هذه المعركة وقادوا نصر العرب على الفرس هم : حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي , وهاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود , ويزيد بن حمار السكوني, و يزيد بن مسهر الشيباني (35).

وهكذا انتهت هذه الموقعة و أسفرت عن هزيمة الفرس هزيمة منكرة وانتصار العرب انتصارا رائعا , ولما وصلت أخبار الواقعة إلى النبي قال : هذا أول يوم انتصفت العرب فيه من العجم و بي نصروا(36).

تاريخ وقوعها : وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ المعركة اختلافا شديدا , فالبعض يجعلها بعد أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة وبعضهم يحددها بعد وقعة بدر بأشهر (37) ,وبعضهم يجعلها عند رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر الكبرى (38), وآخرون يرون أنها حدثت لتمام أربعين سنة من ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بمكة بعد أن بعث (39), وقيل أنها وقعت يوم مولد الرسول صلى الله عليه وسلم (40), ويذهب روتشتاين إلى أنها وقعت فيما يقرب من سنة604 م , بينما ذهب نلدكة إلى أنها وقعت بين عامي-604 610م (41) , أما كوسان دي برسيفال فيعتقد أنها حدثت بعد أن اكتمل عمر النبي صلى الله عليه وسلم أربعين عاما أي في يناير سنة 611 م , استنادا إلى ما ذكره المسعودي وأبو الفداء اللذان حددا تاريخها بعد أن بعث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة لتمام أربعين سنة من مولده . (42)

ويرى نيكلسون أنها حدثت في سنة 610 م (43) , ويميل معظم المؤرخين إلى القول بأنها حدثت في 611 م , بينما يرى السيد عبد العزيز سالم أن الموقعة حدثت فيما يقرب من عام 609م أو بعد ذلك بأشهر , فإن المصادر تكاد تجمع على أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث على رأس أربع سنين من ملك إياس بن قبيصة , وروى قوم أنه بعث وهو ابن أربعين سنة , ولما كان من المعروف أن الرسول عليه الصلاة والسلام توفي في 12 ربيع الأول سنة 11هـ/8يونيو632م وهو في سن الثالثة والستين على أرجح الآراء فإن بعثته تكون قد حدثت في سنة 609 م وهو ابن أربعين سنة , وتكون وقعة ذي قار حدثت بعد سنة 609 م بقليل أو على أبعد تقدير في سنة610 م (44).

وأنا أرجح الرأي الذي ذهب إليه السيد عبد العزيز سالم ولكن ليس بناء على دليله فقط ولكن بناء على الحديث الذي ذكره معظم المؤرخين أنه حينما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم انتصار العرب على الفرس قال : وبي نصروا . ونص الحديث الكامل كما يلي-:

حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا خلاد بن عيسى الأحول عن خالد بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده قال قدمت بكر بن وائل مكة , فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتهم فاعرضني عليهم , فأتاهم أبو بكر , فقال من القوم , قالوا : بنو ذهل بن ثعلبة , قال ليس إياكم أريد , أنتم الأذناب , فقام إليه دغفل , فقال : ومن أنتم , قال : رجل من قريش , قال : أمِن بني هاشم , قال لا , قال : فمن بني أمية , قال لا , قال : فأنت من الأذناب , ثم عاد إليهم أبو بكر ثانية , فقال : من القوم , قالوا : بنو ذهل بن شيبان , قال : إياكم أريد , فعرض عليهم , قالوا : حتى يجئ شيخنا فلان , قال : خلاد أحسبه , قال : المثنى بن خارجة , فلما جاء شيخهم عرض عليهم أبو بكر رضي الله عنه , فقال : إن بيننا وبين الفرس حربا , فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم عدنا فننظر فيما تقول , فقال : أبو بكر أرأيت إن غلبتموهم أتتبعنا على أمرنا ؟ قال : لا نشترط لك هذا علينا ولكن إذا فرغنا مما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فيما تقول , فلما التقوا يوم ذي قار هم و الفرس قال : شيخهم ما اسم الرجل الذي دعاكم إلى ما دعاكم إليه , قالوا : محمد ,قال : فهو شعاركم فنصروا على القوم , فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بي نصروا .

وهذا الحديث وإن كان ضعيفا لأنه مرسل يدل دلالة واضحة وصريحة على أن وفدا من بكر بن وائل جاء إلى مكة والنبي صلى الله عليه وسلم قد بعث , لأنه أمر أبابكر أن يأتيهم ويعرض عليهم الإسلام , فجاءهم أبو بكر وكلمهم , وحينما رجع هذا القوم ودارت المعركة بينهم وبين الفرس جعلوا اسم محمد من شعارهم , وهذا يؤكد على أن معركة ذي قار حدثت بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ولذا جميع الأقوال الأخرى ضعيفة وتنقصها الأدلة الصحيحة .

ولكن متى حدثت بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فيبدو لي كما ذهب إليه معظم المؤرخين أنه في عام610 م , والله أعلم بالصواب .

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو أنه ما دامت هذه الحرب وقعت بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلماذا عدت من أيام الجاهلية ؟ والجواب لأنها كانت حربا جاهلية في بواعثها(45)

آثارها : وقبل أن أنهي هذا المبحث أريد أن أشير إلى أنه كان من تأثير هذه الحرب أن حدود الدولة الساسانية أصبحت هدفا للقبائل العربية,كما أن قبائل الحيرة الموالية للفرس في العادة أخذت تتمرد على سادتها في أحيان كثيرة,ويمكن اعتبار نصر ذي قار من العوامل التي شجعت المسلمين على فتح العراق وفارس (46).

كما يمكن اعتبار نصر العرب في هذه المعركة بداية عهد لتحرير العرب , وأعقبها ذهول في الفرس يدل على تقلص حكمهم ونزولهم إلى أحط الدركات (47) والباحث يرى أن من أهم آثار هذه المعركة هي إزالة خوف الفرس من قلوب العرب ورفع معنوياتهم النفسية وإضعاف معنوية الفرس.

أسباب انتصار العرب وهزيمة الفرس

يحتار القاري حينما يدرس هذه المعركة ويعلم أن العرب البدو استطاعوا بالفعل هزيمة الدولة الساسانية في هذه المعركة , وتصيبه الدهشة والذهول حينما يعرف أنها كانت أعظم دولة آنذاك , وكانت قد بسطت نفوذها على منطقة شاسعة من الأراضي , وكانت في أوج عزها وقوتها في عصر كسرى أبرويز الذي هزم الدولة البيزنطية , وقام بفتوحات واسعة , و أطلق على نفسه لقب أبرويز أي المظفر, وكانت قد هزمت العرب من قبل و أوقعت ببني تميم في يوم الصفقة , فكانت العرب وجلة خائفة منها , وكانوا منهزمين نفسيا, وكانوا يعتقدون أنهم منهزمون لا محالة , وليس أدل على ذلك من قول هاني بن قبيصة الذي أشار في بداية الأمر على قومه بالفرار والنجاة بالنفس إلى الفلاة , وكما يدل على هذا طواف النعمان بن المنذر في القبائل العربية طلبا للجوار ,ولم يكن أحد يقبل أن يجيره , حتى قالت له قبيلة طي : لولا صهرك لقتلناك فإنه لا حاجة بنا إلى معاداة كسرى ولا طاقة لنا به (48).

ويبدو من هذا أن العرب كانوا منهزمين نفسيا وكانوا خائفين جدا من بطش كسرى وجيشه , وهذه من ناحية , ومن ناحية أخرى نجد بين الطرفين بونا شاسعا في العِدة والعُدة , وأن هناك جيشا نظاميا يقابله جيش غير نظامي , ورغم هذه الظروف القاسية وغير الملائمة والتفاوت الكبير استطاع الطرف الأضعف تحقيق النصر الرائع وهزيمة الفرس هزيمة منكرة , فهذا يعني أن هذا النصر لم يأت عن فراغ ولا عشوائيا , بل هناك تخطيط وتفكير وأسباب وعوامل قادت العرب إلى

النصر وأدت إلى هزيمة الفرس ، ومن الغريب حقا أنه لم يتطرق أحد إلى حد علمي إلى هذه الأسباب ولم يقم بدراستها ، وهى تبدو لي كما يلي-:

(1)التخطيط والإستراتيجية الحربية الفائقة التي قام بها العرب قبل بداية المعركة وأثناءها ، منها :توزيع أسلحة النعمان بن المنذر ، وتعجيلهم بلقاء الفرس ، وقيامهم بقطع وضن الظعن ، ووضعهم كمينا للفرس ، واستقاؤهم ماء لمدة نصف شهر ، والتحريض والتشجيع والقيادة المثلي وغيرها من التخطيطات الأخرى التي ساعدت العرب كثيرا في كسب المعركة وهزيمة الفرس.

ولاشك أن الفرس أيضا قاموا بالتخطيط ووضعوا الإستراتيجية اللازمة ولكن فاقهم العرب من هذه الناحية في هذه المعركة.

(2)قاتل العرب في هذه المعركة بحماسة فائقة النظير واستماتوا في القتال وخاصة بعد ما عرفوا أن مصيرهم الموت في جميع الأحوال , لأنهم إذا تركوا ولاذوا بالفرار إلى الفلاة ماتوا جوعاً وعطشاً,وإذا سلموا أمرهم إلى الملك قتلوا وسبيت نساءهم وذراريهم , وإذا انهزموا قتلوا أيضا , فلا مفر من الموت في أي حال من الأحوال , ولذا أيقنوا أن موت الكرامة والشجاعة والعز في ميدان القتال أحسن وأفضل بكثير من موت الذل والهوان والصفار والتيه , و من هنا استمدوا قوتهم ودافعوا عن أنفسهم دفاع الاستبسال ونجحوا في المعركة .

وعلى عكس ذلك نرى أن الفرس كانوا موقنين بالفتح , ويظهر هذا جليا من خطاب التغلبي الذي ألقاه بين يدي قومه , ولكن مع هذا انهزموا لأن هذه المعركة لم تكن عندهم معركة مصيرية حاسمة , ولذا لم يبذلوا نفس الجهد الذي بذله العرب ولم يقاتلوا عن حماسة وبالتالي خسروا المعركة .

(3) العامل الثالث الذي سهل انتصار العرب على الفرس هو موقف قبيلة إياد , التي كانت مع الفرس في بداية الأمر ولكن غيرت موقفها فيما بعد , واتفقت سرا مع قبائل بكر على الانهزام أثناء المعركة , وقد نفذت إياد هذه الخطة , فحينما بدأت المعركة في اليوم التالي والتحم الفريقان انسحبت قبيلة إياد مظهرة الانهزام , وهذا لاشك أثر في نفسية الفرس وأضعف معنويتهم ,بينما رفع معنوية العرب وقوي نفسيتهم , ففازوا في المعركة .

(4)التحريض والتشجيع والرجز والخطب الحماسية التي ألقيت قبل بداية الحرب , أدت دورا كبيرا في رفع معنوية العرب ومن ثم في انتصارهم , وخاصة مشاركة النساء في هذا الباب وتشجيعهن و تحريضهن كان بمثابة قوة معنوية للعرب .

وعلى عكس ذلك نرى أن النساء لم تكن مع الفرس ولذا لم تشارك جيوشها , أو الروايات التاريخية أغفلت ذكرها .

كما أن الجبن والفرار ووقوع النساء في الأسر من المعايب الشديدة على البدوي , ومثلبة يشهر بها الشعراء ويشمت بها الخصوم, و نرى أن القادة العرب استغلوا هذه الصفة في هذه المعركة , إذ قاموا بقطع وضن الظعن لكي لا يستطيع أحد إذا هرب من المعركة بسوق امرأته معه , ومما لا شك فيه أن هذا كان دافعا قويا إلى استماتة العرب في القتال والتفاني في كسب المعركة لأجل حماية النساء والذراري , فأتاهم النصر منقادا .

(5)كما أنه لا شك في ذلك أن العرب كانوا أكثر تحملا على المشاق والحرارة والصبر على العطش من الفرس , لأنهم كانوا متعودين على العيش في الصحراء , وكانت حياتهم حياة طبيعية ساذجة , كذلك استقوا الماء لمدة أربعة عشر يوما كما هو في رواية الطبري وغيره , (49) أما الفرس لم يكونوا متعودين على هذه الطبيعة الصحراوية وعلى تحمل المشاق والحرارة والعطش , وهذا واضح

من دراسة هذه المعركة إذا أنهم أصيبوا بالعطش في مرحلة مبكرة , و جزعت جيوشهم , بينما العرب لم يذكر عنهم هذا الشيء .

ولا شك أن هذا العنصر لعب دورا بارزا في حسم المعركة من حيث النتيجة , وبسبب رجحان كفة العرب في هذا الباب تمكنوا من النصر على الفرس .

(6)كما أن العرب كانوا يقاتلون في أوطانهم وبين أقوامهم وبين أهليهم وذويهم , وكانوا يعرفون مداخل ومخارج ميدان المعركة أكثر من الفرس , بينما كان الفرس بعيدين عن أوطانهم و أهليهم و ذويهم , ولا شك أن هذا عنصر مهم يؤدي دورا بالغا في نتيجة المعركة , ومن الواضح أن هذا العنصر كان في حق العرب تماما ولذا كسبوا المعركة .

(7)وحديث محمد بن عثمان وان كان مرسلا يدل على أن النبي و المسلمين كانوا يريدون غلبة بكر بن وائل على الفرس وفوزهم في المعركة و إن كانوا لم يلبوا دعوة أبي بكر إلى الإسلام , ولم يصدقوا النبي صلي الله عليه وسلم وكانت ميول المسلمين مع العرب, وكانوا يتمنون نجاحهم لكي يدخلوا في الإسلام فيما بعد , كما كانوا أقرب إلى المسلمين من الفرس دما ولغة , ولا أدل على ذلك من قول أبي بكر لقائد الوفد : أرأيت إن غلبتموهم أ تتبعنا على أمرنا ؟

كما أن العرب جعلوا شعارهم في ميدان المعركة اسم النبي الميمون , فنصرهم الله تحقيقا لرغبة المسلمين و تصديقا لنبوة النبي بين العرب.

Conclusion: The most significant results of this research are as follows :-

1- The battle of Dhu-Qar is not only one of the most three famous battles of Pre-Islamic History but it is the most famous battle of Pre- Islamic History at all.

2- This is the first battle in which the Arabs defeated the Persians despite the superiority of the Persians in numbers & weapons.

3- The most important reason of this battle was the claim made by King Pervez of Persia to the legacy of Noman Bin Munzir, King of Heerah.

4- The most important reasons that led to the victory of the Arabs & the defeat of the Persians are the thinking of Arabs that it is a crucial & decisive battle for them, & change of attitude of Iyad during the Battle & his withdrawal from the field showing defeatism, & good planning of the battle.

5- The Historians disagree on the determination of the date of this battle very much, but it seems to me that it has occurred a little after the sending of the Prophet Mohammad about the year 610AD as it is evident from the Hadith & from the sayings of the historians who have the same thinking.

6- The most significant effects of this battle are that it is the beginning of a new era of the liberation of the Arabs, & became the borders of The Sasanian Government threatened by the Arabs , & this battle removed the fear from the hearts of the Arabs & raised their courage & morals.

الهوامش

(1)الحموي ، ياقوت بن عبد الله : معجم البلدان ، تحقيق : فريد عبد العزيز الجندي ، ج4 ، ط1 ، بيروت : دار الكتب العلمية ،1410 هـ1990 /م ، ص.333

(2)على ، جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج 3 ، ط 2 ، بيروت وبغداد : دار العلم للملايين ومكتبة النهضة ،1978 م ، ص.293

(3)الطبري ، محمد بن جرير : تاريخ الأمم والملوك ، مراجعة وتقديم : نواف الجراح ، ج1 ، ط1 ، بيروت : دار صادر،1424 هـ2003 /م ، ص291 ، الحموي : المصدر السابق ، .4/333

(4) البكري ، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق وضبط : مصطفى السقا ، ج 3 ، بيروت : عالم الكتب ،1403 هـ1983/م، ص1043 ، سالم ، السيد عبد العزيز : دراسات في تاريخ العرب ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، تاريخ النشر :بدون ، ص .255

(5)بن عدي : هو ابن عدي بن زيد الذي قتله النعمان بن المنذر بسبب مكيدة عدي بن أوس ، ثم بعث النعمان بنفسه ابن عدي هذا إلى كسري ، وكتب له خطابا ووصي كسرى به ، فقلده كسرى وظيفة أبيه وجعله مترجما في بلاطه وارتفعت منزلته عنده فيما بعد) سالم : المرجع السابق ، ص.(247-245

(6)النعمان بن المنذر : هو النعمان أكبر أبناء المنذر من سلمى بنت وائل بن عطية الصائغ من أهل فدك ، حكم الحيرة من 583 إلى605 م ،)سالم : المرجع السابق ، ص .(244-243

(7)السواد : يطلق على القرى والرساتيق الواقعة بين البصرة والكوفة وما حولهما) أنيس ، إبراهيم والآخرون : المعجم الوسيط ، دهلي : كتب خانه حسينية ، ديوبند ، سنة النشر : بدون ، ص. (461

(8) هو هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود ، لأن هاني بن مسعود لم يدرك هذا الأمر)الطبري : المصدر السابق ، ص .(291

(9)اختلف المؤرخون في سبب موته كما اختلفوا في مكان سجنه ، ففي رواية أنه سجن في خانقين ، وفي رواية أنه تم سجنه في ساباط ، وفي رواية أنه سجن في القطقطانة في البر ، كما ذكر عن موته في رواية أنه مات بسبب تناوله السم أو بسبب سحق الفيلة له) علي : المرجع السابق ، ص .(268

(10)إياس بن قبيصة : هو إياس بن قبيصة بن أبي عفراء بن النعمان بن حيه الطائي ، كان من أشراف أسر الحيرة ، تولى حكم الحيرة بعد النعمان بن المنذر من عام 605 إلى عام614 م) سالم : المرجع السابق ، ص .(254

(11)الطبري , المصدر السابق , 290-289/ 1 , ابن الأثير , علي بن محمد الشيباني : الكامل في التاريخ , المجلد الأول , بيروت : دار صادر , سنة النشر : بدون, ص488-485 , علي : المرجع السابق 3, 269/, 293سالم : المرجع السابق , ص , 256-255, 248-247الثعالبي , عبد العزيز : مقالات في التاريخ القديم , جمع وتعليق : جلول الجريبي , ط , 1بيروت : دار الغرب الإسلامي1986 , م , ص , 186-185 اليعقوبي , أحمد بن أبو يعقوب بن جعفر : تاريخ اليعقوبي , المجلد الأول , بيروت : دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر1379 , هـ1960/م , ص215-214, 225المولى بك , محمد أحمد جاد والآخرون : أيام العرب في الجاهلية , مصر : دار إحياء الكتب العربية , سنة النشر : بدون , ص, 27-19الموسوعة العربية

العالمية ، ط, 2ج ، 3الرياض : مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع1419 ، هـ1999/م ، ص ، 451 زيدان ، جرجي : العرب قبل الإسلام ، بيروت : دار مكتبة الحياة1966 ، م .

(12)حسن ، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج ، 1ط ، 7د.ن .د.ت ، ، 1964م ، ص . 39

(13)بروكلمان ، كارل : تاريخ الشعوب الإسلامية ، التعريب : نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، ط ، 7بيروت : دار العلم للملايين1977 ، م ، ص . 24

(14)زيدان : المرجع السابق ، ص ، 186سالم : المرجع السابق ، ، 256 المولى بك: المرجع السابق 27-26

(15) .الحموي : المصدر السابق ، 4/333 ، سالم : المرجع السابق ، ص ، 256

(16) الطبري : المصدر السابق ، 1/291

(17)يعروا : أعرى المكان أي تركه) الثعالبي : المرجع السابق ، ص (168

(18)الجلهتين : جلهة الوادي : مقدمه وما استقبلك منه واتسع له ،) المولى بك : المرجع السابق ، ص .(28

(19)اللخى : إعطاء المال ، يريدون أن فقد المال خير من الهلاك) المولى بك : المرجع السابق ، ص.(29

(20)المولى بك : المرجع السابق ، ص .30-27

(21)الطبري : المصدر السابق ، 1/291 ، علي : المرجع السابق ،295 /3 ، الثعالبي : المرجع السابق ، ص 187، سالم : المرجع السابق ، ص .257-256

(22)الأساورة : مفردها أسوار ، وهو الجيد الرمي بالسهام) المولى بك ، المرجع السابق ، ص .(9

(23)النشاب : النبل ، واحدته نشابة والنشاب : الكثير النشوب) أنيس : المرجع السابق ، ص .(921

(24)كراديس مفردها كردوس ومعناها قطعة من الخيل) المولى بك : المرجع السابق ، ص .(30

(25)وضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر ، وقيل لا يكون إلا من الجلد) المولى بك : المرجع السابق ، ص .(30

(26)الظعن : مفردها الظعينة ، وهى الراحلة يرتحل عليها والهودج والزوجة) أنيس : المرجع السابق ، ص 576).

(27)المولى بك : المرجع السابق ، ص 32-30

(28)الحموي : المصدر السابق ، 4/334

(29)الطبري : المصدر السابق ، 1/292

(30)سالم : المرجع السابق ، ص 257

(31)وامق : من ومق يمِق ومقا أي أحبه فهو وامق ، وهى وامقة ، ووامقه موامقة وواماقا أي أحب كل منهما الآخر لغير ريبة) أنيس : المرجع السابق ، ص.(1058

(32)الطبري : المصدر السابق ،1/291 ، الثعالبي : المرجع السابق ، ص ,187سالم : المرجع السابق ، ص 258-257

(33)الطبري : المصدر السابق292-1/291 ، ، سالم : المرجع السابق ، ص 259-258

(34) الحموي : المصدر السابق ، 4/334 ، سالم : المرجع السابق ، ص 260-259

(35)علي : المرجع السابق 3/296 ،

(36)الطبري:المصدر السابق،1/291 ،ابن الأثير:المصدر السابق ، 1/482-483 ، علي : المرجع السابق ، 4/294، سالم : المرجع السابق , ص , 160الثعالبي : المرجع السابق , ص (37) 187المسعودي , علي بن حسين : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج , 1بيروت : المكتبة العصرية ،1407 هـ1987/م ، ص (38) , 278الحموي : المصدر السابق. 4/334 ,

(39)الطبري : المصدر السابق ،1/291 ، المسعودي , المصدر السابق , 1/278,

(40)الحموي : المصدر السابق ، 4/334

(41)نقلا عن : علي : المرجع السابق 3/294 ,

(42)نقلا عن: سالم : المرجع السابق , ص 261

(43) سالم : المرجع نفسه , ص 261

(44)سالم : نفس المرجع , ص 262-261

(45)الموسوعة العربية العالمية 3/415 , ,

(46)درادكة ، صالح موسى ": الحرب عند القبائل العربية في الجاهلية" ، المؤرخ العربي , العدد29 ، 1986م ، ص . 119

(47) الثعالبي : المرجع السابق ، ص.188

(48) المولى بك : المرجع السابق ، ص.22

(49)الطبري : المصدر السابق , 1/291 , ابن الأثير :المصدر السابق , 1/489 علي : المرجع السابق 3/295 .